

توظيف الرمز التاريخي في قصيدة "يا عيد الاحرار فاتح نوفمبر" لعبد الحميد عابسة

Employment of Historical Symbols in the Poem "Ya Eid Al-Ahraar Fateh November" by Abd El Hamid Ababsa

سفیان زغید¹، مخبر التأويل والدراسات الثقافية المقارنة-جامعة خنشلة، sofiane.univ40@gmail.com
<https://orcid.org/0009-0008-8763-073X>

فيصل حصيد²، مخبر التأويل والدراسات الثقافية المقارنة-جامعة باتنة 1، faical.hacid@unviv-batna.dz
<https://orcid.org/0009-0005-1952-9021>

2024-12-17	تاريخ القبول	2024-07-23	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

ملخص

تسعى هذه الورقة إلى قراءة قصيدة من الشعر الشعبي أثناء ثورة التحرير الجزائرية، للشاعر الشعبي الجزائري عبد الحميد عابسة والموسومة "يا عيد الاحرار فاتح نوفمبر"، قصد الوقوف على توظيف الرموز التاريخية فيها، ما يجعلنا أمام إشكالية مفادها: ماهي أهم الرموز التاريخية الموظفة في القصيدة؟ وفيما تمثلت دلالاتها؟ وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة استقراء أهم الرموز في القصيدة وبيان دلالاتها، وأثرها الفني في النص، حيث أوصلنا هذه الدراسة إلى عدد من النتائج لعل أهمها: أن الرمز قد مثل أحسن وسيلة للتعبير عن أوجه النشاط الإنساني الفكري والثقافي، كما أن الشاعر وظف شخصيات تاريخية ودينية أثبتت تميزها عبر التاريخ في الفتح الإسلامي لتكون ملهمة للقيام بالفعل الثوري.

الكلمات المفتاحية: الرمز؛ الثورة؛ الشعر الشعبي؛ الجزائر؛ التاريخ.

Abstract

This paper aims to read a poem of popular poetry during the Algerian liberation revolution, by the Algerian popular poet Abdelhamid Ababsa, with the aim of identifying the use of historical symbols in it, which brings us before a problem: What are the most important historical symbols employed in the poem? What is its significance? To answer this problem, we used the descriptive analytical method to extrapolate the poem, delve into its symbols, and uncover their meanings. This study led us to a number of results, perhaps the most important of which are: that the symbol represented the best means of expressing aspects of human intellectual and cultural activity, and the poet also employed historical and religious figures who proved their distinction. Throughout history in the Islamic conquest to be inspired to carry out revolutionary action.

Keywords: Symbol; Revolution; Popular poetry; Algeria; History.

يُعدّ الشعر الشعبي الجزائري من أشكال التعبير الشفوية التي تساهم في نقل مشاعر الشعب وأفكاره وهواجسه ورؤاه ونضالاته، لا سيما في فترة الاستعمار الفرنسي، وقد تميّز هذا اللون الشعري باستخدام الرمز على اختلاف أشكاله وأنواعه؛ بحيث سعى الشعراء الشعبيون إلى توظيف الرموز في قصائدهم، والتي تباينت بحسب طبيعة الموضوعات التي يطرقونها، ولمّا كانت الثورة الجزائرية تحتلّ مكانة كبيرة وأثيرة في نفوسهم، حملوا على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على الذاكرة التاريخية والتنويه إلى البطولات والتضحيات التي جسّدها أعلام الفكر الإصلاحي وفرسان المقاومات الشعبية والثوار، لذلك فقد وردت أشعارهم مشحونة بالرموز التاريخية التي لها وزن في تاريخ الجزائر، حاملة بذلك مجموعة من المقاصد والغايات التي تهدف إلى الاعتزاز بالماضي الحافل بالإنجازات والقيم الثورية والإنسانية، لتكون بذلك أنموذجاً يحتذى به لدى الأجيال القادمة حفاظاً على القيم الاجتماعية، والتمسك بمبادئ الهوية الوطنية.

وبناءً على ما سبق كان موضوع دراستنا موسوماً بـ: "توظيف الرمز التاريخي في قصيدة "يا عيد الاحرار فاتح نوفمبر لعبد الحميد عباسية"، وهذا قصد الوقوف على أهم الرموز التاريخية الواردة فيها، ولعلّ الإشكالية التي يتمحور حولها الموضوع، هي: ما أهم الرموز التاريخية الموظفة في القصيدة الشعبية؟ وفيم تمثلت دلالاتها؟

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة استقراء أهم الرموز في القصيدة وبيان دلالاتها، وأثرها الفني في النص، حيث توصلنا إلى مجموعة من النتائج لعلّ أهمّها: أنّ الرمز قد مثّل أحسن وسيلة للتعبير عن أوجه النشاط الإنساني الفكري والثقافي، كما أنّ الشاعر وظف شخصيات تاريخية ودينية أثبتت تميزها عبر التاريخ في الفتح الإسلامي لتكون الملهمة للقيام بالفعل الثوري.

1- ماهية الرمز

يمكن اعتبار لغة الشعر لغة إيحائية جمالية، وطالما تمرت وانزاحت عن النمطية المعجمية التي التزم بها أصحاب المتون وحافظوا عليها فهي استبعاد متوال، وتجاوز مستمر لهذه النمطية، فكثيراً ما نسمع من شعرائنا أنّ اللغة تعيقهم وتحجزهم في كثير من الأحيان للتعبير عن خلجاتهم وانفعالاتهم بكل حرية، فيقعون بذلك في ورطة الصمت لتنتهي في هذه اللحظة لغة الشعر وتحلّ محلّها لغة الرّمز، فتغدو قادرة -في كثير من الأحيان- على إحياء النصّ من جديد، ممّا يساعد في إثراء لغة الشاعر، ويجعلها تتجاوز ما «يستعصي على التجديد والوصف من مشاعر وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة» (زايد، 2002، صفحة 104)، فتصبح بذلك قصيدته أكثر إيحائية، ووعاءً خصباً للروح بما لم يستطع الإفصاح عنه أو التصريح به، فعلى الشاعر «أن يتجاوز لغة الكتابة بحسب الكلم إلى لغة جديدة، حيث تتمكّن الخاصية الشعرية في التعبير عن عالم تقف أمامه اللغة العادية عاجزة، فهذه اللغة محدودة، في حين أنّ هذا العالم غير محدود ولا نستطيع أن نعبر بالمحدود عن غير المحدود» (أدونيس، 1994، صفحة 297) لذا، وجب اللجوء إلى قرائن وأدوات تتخطى بها هذه اللغة المحدودة، وهذا ما يستطيع احتواءه مبدأ الرمز في قدرته على إضفاء ضبابية ومستويات متعدّدة للقصيدة، «فما هي الرمز تتلخص إذن في إدراك أنّ شيئاً ما يقفُ بديلاً عن شيءٍ آخر أو يحلّ محله أو

يمثّله بحيث تكون العلاقة بين الاثنين هي علاقة الملموس أو المشخص العياني بالمجرد، أو علاقة الخاصّ بالعامّ، وذلك على اعتبار أنّ الرّمز هو شيء له وجود "حقيقي" مشخص ولكنه يرمز إلى فكرة أو معنى مجرد» (زيد، 1985، صفحة 4)، وبهذا تكنسي مفردات القصيدة بدلالات جديدة توجّبها طبيعة الاستعمال الرمزي، فتغدو رموزًا وشفرات تستفز المتلقي لاستجلائها وفكّ طلاسمها في النصّ المقروء، وحتى يُحسن الشاعر اختيار رموزه وتوظيفها، ويوفّق في دغدغة مشاعر المتلقي وإثارة عواطفه لا بدّ «أن تكون ثمة صلة سابقة من نوع ما بين المتلقي والرّمز التراثي، بأن لا يكون غريبًا عنه غربةً مطلقةً حتى إذا ما ألمح إليه الشاعر أيقظ في وجدان المتلقي هالة من الذكريات والمعاني المرتبطة به» (أحمد، 1977، صفحة 323). وذلك ما جعل شعراءنا يتجهون نحو الرمز يستقون منه ويستخلصون من مصادره المتنوعة ما يخدم مواقفهم ورؤاهم، فألبسوا قصائدهم حُلّة مكتنزة وزاخرة بأحداث ووقائع وشخصيات وأمكنة وأزمنة... زادت في حُسْن قصائدهم بهاءً وقبولاً عند متلقيهم.

2- الرمز في الشعر الشعبي

بما أنّ الشعر الشعبي جزء لا يتجزأ من أنماط الإبداع الأدبي، فقد وجدنا في كثير منه امتدادات لظاهرة الرمز بشتى أنواعه ومستوياته، وهذا ما سيردُ تفصيله في هذه الورقة البحثية، بخاصة إذا كان هذا النمطُ مقترنًا بالثورة، وحتى نكون أكثر تحديدًا سنركّز على الثورة الجزائرية والرّمز في القصيدة الوطنية والتاريخية للشاعر الفنان عبد الحميد عبابسة (أنظر التعليق رقم: 1)، وهي القصيدة الخامسة والثلاثون في ديوانه "الدّرّ المكنون في الشعر الملحون" تحت عنوان "يا عيد الأحرار فاتح نوفمبر" (عبابسة، 1996، صفحة 80)، حيث تشكّل الرّمز بصورة لافتة في قصيدة الشاعر، مُجسّدًا انفعالاته الثورية شديدة التعقيد اتجاه القضية الوطنية في لغةٍ شفافةٍ اختصرت تاريخ وطن وتراث جدود مجّدوا المكان والزمان والأحداث التي صنعت ماضيهم وحاضرهم.

ومن خلال هذه المنطلقات يمكن اعتبار القصيدة الشعبية -في هذه المرحلة- وثيقة تاريخية ومادة ثقافية هامة للباحثين نظرا لما تحمله من دلالات حضارية؛ لذا فهي السجل الصريح لمشاعر الناس اتجاه المستعمر، ولمواقف الجهاد ضد العدو، ولتطور الحياة السياسية بجميع مظاهرها. ولا شك في أنّ نظم هؤلاء الشعراء كان يلعب دور عدسة الكاميرا، وذلك في تصويره للأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وغيرها، فقد كتبوا في شتى المجالات، ومدحوا وهجوا حكامهم، وأشادوا بانتصارات الثورات وعارضوا أخرى، فكان لهم نصيب من كل شيء. (سعد الله، 1998، الصفحات 315-316)

3- الرمز التاريخي في قصيدة "يا عيد الأحرار فاتح نوفمبر" لعبد الحميد عبابسة

لعلّ أوّل انشغال يتبادر إلى ذهن القارئ هو مفهوم الرمز التاريخي، والذي نقصد به "التوظيف الرمزي لبعض الأحداث التاريخية أو الأماكن التي ارتبطت بوقائع تاريخية معينة" (بوصلاح، 2003، صفحة 141)، أي أنّ الشاعر الشعبي يستغلّ التاريخ في قصائده ليعمّق تجربته الشعرية، مستخرجًا منه الأحداث والأمكنة الأكثر تميزًا تاريخيًا، والتي شكّلت منعرجات تاريخية هامة، وهو بذلك يوظفها من أجل غاية جمالية وأبعاد دلالية، بالإضافة إلى استفزاز الذاكرة حتى لا ننسى الماضي وننسلخ عنه.

وقد استحضّر الشاعر في كامل قصيدته الرموز التراثية مستغلا شخصيات لها مكانتها (كنماذج عليا)، وأحداثا تاريخية وحروبا ووقائع وأزمنة وأمكنة، تجلت على النحو التالي:

3-1- فاتح نوفمبر/التغيير

لطالما ارتبط تاريخ الفاتح من نوفمبر في الجزائر بالذاكرة كموعِد مع القدر، برجال آمنوا برّبهم وبالوطن، وبشعبٍ قادر على ليّ عنق التاريخ، وفي ذلك استهل الشاعر قصيدته قائلا (عباسية، 1996، صفحة 80):

يا عيد الأحرار فاتح نوفمبر قام معاك النصر في الربرة وخمسين

يمثّل الفاتح من نوفمبر عند الشاعر عبد الحميد عباسية رمزا للحرية، ولقوة العقائد البشرية على التغيير ومقاومة الإخضاع، ففرنسا وهي تمارس سياسة القوة والظلم والتجويع والتجهيل لأكثر من قرن وربع قرن لم تستطع قتل روح التمرد عند ثوار الجزائر، وبما أن لكل ثورة شعراؤها فقد "أصبح الشعر بمثابة السلاح الروحي النافذ، حيث انصهر في جذوة الثورة التي أضرمها الثوار في أرض الجزائر" (السد، 1986، الصفحات 17-18)، لذا فإن نوفمبر أصبح الخط الفاصل بين الحرية والاستعباد، واستحداث فعل التغيير، تغيير حالة الإخضاع إلى حياة وأهداف سامية نبيلة، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]. سورة الرعد، الآية 11. وبما أن الحرية أصبحت مطلباً لمعوم الناس والاحرار من أبناء الوطن الذين آمنوا بالجزائر، فقد رسم نوفمبر مسار نهاية الاستعمار، وكان بداية لبوادر النصر.

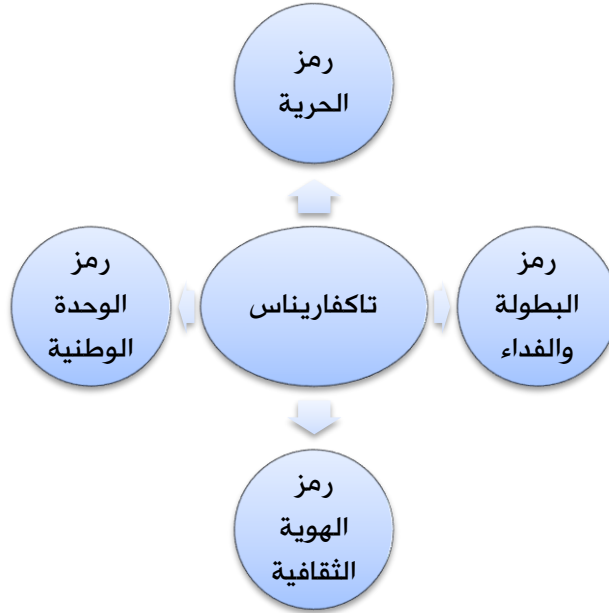
3-2- تاكفاريناس/الوحدة : (ت24م)

يستحضر الشاعر الشعبي عبد الحميد عباسية في قصيدته رموزا من تاريخ الجزائر القديم، كالحكام والقادة والملوك، من بينهم شخصية القائد "تاكفاريناس"، حيث يقول (عباسية، 1996، صفحة 80):

يا جاهل تاريخنا راه امسطر من قبل الرمان بثلاث سنين
تاكفاريناس أسد بالاعداء يكثر أدهش اعداه في حرب الكامين

تجسّد شخصية تاكفاريناس التاريخية رمزية ثرية للقيم الإنسانية الكبرى كالبطولة والمقاومة والحرية والوحدة، فقد قاد حروبا شرسة قاوم فيها الرومان في بدايات القرن الميلادي الأول (مسرحي، 2009، الصفحات 105-109)، والتصقت صورته منذ تاريخ بعيد، وعبر الأزمنة بالكفاح والحرية ورفض الظلم والاحتلال، وبالصمود في وجه أعتى القوى العسكرية العظمى، وطالما ارتبط اسمه بتطلعات البشرية إلى الحرية، والتحرر، والوحدة، والتضامن لمواجهة القوى الاستعمارية، فقد نجح في توحيد مختلف القبائل النوميديّة ضد العدو الخارجي. فكان أيقونة للبطولة والفداء، كما أصبح رمزا للهوية والكبرياء والاستثناء، ملهماً بذلك كثيرا من أدباءنا باستحضار شخصيته في كثير من أعمالهم، وكلها تجمع على رمزية هذه الشخصية في تاريخ الجزائر للكفاح والحرية.

هذا ويمكن تلخيص ما سبق ذكره في الخطاطة الآتية:
الشكل رقم (01): رمزية تاكفاريناس



المصدر: من إنجاز المؤلفين

3-3-يوغرطة/العدالة : (160ق.م- 104ق.م)

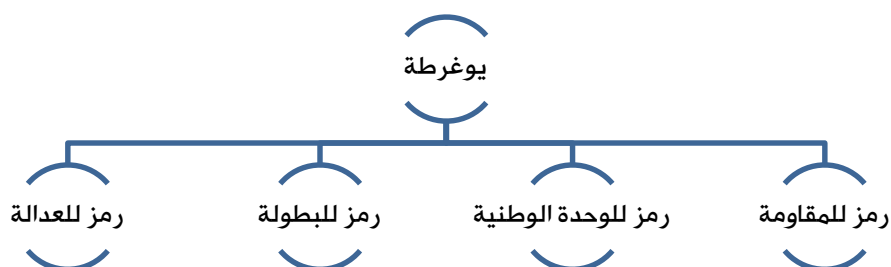
شهدت فترة ما قبل التاريخ في الجزائر بروز عدة مقاومين عظماء للاحتلال الروماني، ومنهم "يوغرطة"، الذي عُرف بالعدل والتواضع لبني قومه، وبذكائه الحاد (دوة، 2022، صفحة 51)، يقول فيه الشاعر (عبابسة، 1996، صفحة 80):

ياغورطه شجاع في حربه
قواد الرمان منه مذهب
يفغدر

يُعدّ الملك النوميدي "يوغرطة" من بين أهم الرموز التاريخية في الأدب الجزائري، والذي برز دوره القوي في قيادة المقاومة والكفاح المستميت لأجل الحرية والعدالة، فقد جسّدت صورته على مرّ التاريخ القيم الإنسانية العظيمة كالشجاعة والانتماء، فكان ملهماً بذلك للأجيال بالاستمرارية من أجل تحقيق أحلامهم وطموحاتهم أهدافهم، وذلك ما انعكس في قصائد وروايات ونصوص مسرحية، وحتى الغناء، كسيرة مفصّلة للملك النوميدي لحياته كاملة. فكان بذلك رمزاً للمقاومة والوحدة والبطولة والعدالة، ملهماً غيره من الثوار لنبذ الحملات الاستعمار، وتعزيزاً لثوابتهم الوطنية وغرس بذور الكفاح للظفر بالحرية.

ولتكوين صورة توضيحية متكاملة لرمزية هذه الشخصية التاريخية يمكن العودة للمخطط التالي والاستعانة به:

الشكل رقم (02): رمزية يوغرطة



المصدر: من إنجاز المؤلفين

3-4- ماسينيسا/القوة (238ق.م - 148ق.م)

من الشخصيات التاريخية أيضا التي ذكرها الشاعر الشعبي عبد الحميد عباسية في قصيدته الملك "ماسينيسا" حيث يقول (عباسية، 1996، صفحة 80):

مسينيسا مشهور ملك البربر حطم الغزات خلاهم داهشين

يمثل ماسينيسا شخصية من الشخصيات التاريخية الهامة في شمال إفريقيا، وقد عُرف بكونه أحد أهم القادة العسكريين الذين ساهموا في تأسيس وتوحيد المملكة النوميديّة (كامبس، د.ت، الصفحات 19-21)، تميّز بالدهاء والحكمة والتخطيط وشجاعته الحربية، وكان رمزا لها، بالإضافة إلى اهتمامه بإنشاء المدن وتطوير الزراعة والتجارة والتعليم، لذا فهو من بين أهم الشخصيات في تاريخ الجزائر القديم، ومن أهم رموز القوة والوحدة.

وقد تجلت شخصيته في كثير من مؤلفات المبدعين في الأدب الجزائري، وكلّها كانت تصبّ في رصد أهمّ معالم شخصيته، وشجاعته، وقوميته، وصراعاته من أجل توحيد نوميديا ومقاومة الرومان.

3-5- عقبة بن نافع/القائد (قبيل 8 هـ أو 10 هـ - 63 هـ)

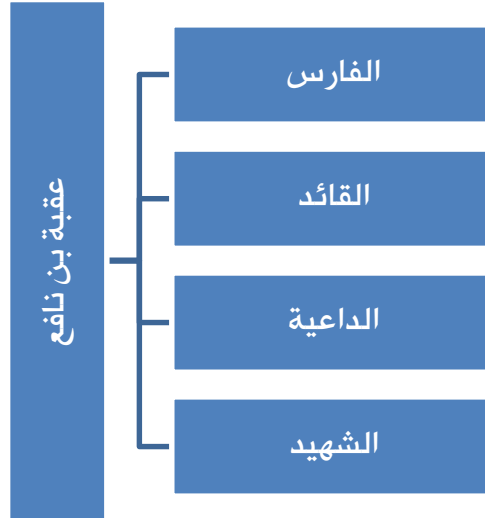
يُعَدُّ عقبة بن نافع الفهري واحدًا من الشخصيات التاريخية المشهورة لدى العرب والمسلمين، ويندر أن تجد من يجهله، وقد ذكره الشاعر الشعبي عبد الحميد عباسية في قصيدته بقوله (عباسية، 1996، صفحة 80):

فتوح الاسلام على الكفر انتصر بعقبة ابن نافع قائد المسلمين

برزت شخصية القائد الإسلامي الكبير عقبة بن نافع، كشخصية عسكرية عظيمة في التاريخ الإسلامي وفي سجل الانتصارات لأمة الإسلام، فقد كان من أوائل القادة الفاتحين للمغرب العربي، حيث شاع اسمه واقترب بدين التوحيد، فكان الفارس والقائد والداعية (القاضي، 1999، الصفحات 24-

29). لقد مثّل صورة مثالية للفارس الشجاع والمقدام في العديد من المعارك، وهو القائد العسكري الحكيم الذي عاصر عهدي معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- ثم ابنه يزيد، ولُقّب بفاتح إفريقيا، والتي تولى ولايتها مرتين (47-55هـ) و(62-63هـ). فهو من الشخصيات الإسلامية الملهمة لشعرائنا وكتابنا وفتانينا على مرّ الأزمنة.

ولعل الشكل أدناه يلخّص ما سبق ذكره كاختصار لرمزية شخصيته:
الشكل رقم (03): رمزية عقبة بن نافع



المصدر: من إنجاز المؤلفين

3-6- طارق بن زياد/الإخلاص (50هـ/670م أو 57هـ/679م- ت101هـ)

يمثّل فتح الأندلس محطة تاريخية مهمة في التاريخ الإسلامي، ولعل أكثر شخصية حضوراً في هذا الموضوع شخصية القائد طارق بن زياد التي نبه إليها الشاعر الشعبي عبد الحميد عباس (عباسية، 1996، صفحة 81):

طارق بن زياد قائد معكر فاتح الأندلس اخصاله منتصرين

الشخصية التاريخية طارق بن زياد من الشخصيات البارزة التي ساهمت وكان لها دوراً محورياً في فتح الأندلس، وتجسّدت شخصيته في مختلف الأجناس الأدبية القصصية، والروائية، والشعرية، والمسرحية، وما يزال حاضراً بقوة كرمز هام للبطولة والفداء، فقد كثرت القصائد التي جاءت في فتح الأندلس مقترنة بطارق بن زياد مبرزة شجاعته وحكمته، من بينها قصيدة "من قارة إلى قارة" لعلي محمود طه، وقصيدة "قصة الجبل" للشاعر محمد عبده غانم، بالإضافة إلى قصيدة "جبل طارق" لفاضل خلف... كما كُتبت بعض السير الذاتية حول مسار القائد طارق بن زياد وإنجازاته ككتاب "دولة الإسلام في الأندلس" لمحمد عبد الله عنان، وغيرها من الكتب، والتي أجمعت على أنّ هذه الشخصية كانت محوراً للبطولة والفتوحات العظيمة والوحدة.

3-7- الأتراك العثمانيون/الذاكرة

امتدّ الحكم العثماني للجزائر بصفة رسمية من سنة 1519م إلى غاية 1830م، وهو تاريخ بداية الاستعمار الفرنسي بالجزائر (شويتام، 2022، الصفحات 105-108)، حيث كان الجزائريون ملوكا للبحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة، وقد رمز الشاعر الشعبي عبد الحميد عباسية للعثمانيين في قوله (عباسية، 1996، صفحة 81):

الجزائر في الماضي مليكة البحر في عهد الأتراك العثمانيين

يظهر الشاعر الشعبي للقارئ أنّ الجزائر كانت تعيش تحت حماية العثمانيين ، حيث تجلّت معاني البطولة والعدل والدين والشجاعة بارزة أثناء فترة حكمهم، كما كانوا مقاتلين أشداء، مدافعين عن الإسلام وساعين لنشر رسالته، لذا فإنهم ساهموا بصورة كبيرة في التصدي للهجمات التي توجه للجزائر من طرف الأعداء الخارجيين المتربصين بها، محاولين استنزاف ثرواتها والسيطرة عليها، الأمر الذي أدّى إلى تحقيق الانسجام بين العثمانيين والجزائريين لمدة طويلة، ممّا شكّل رابطةً وثيقة بينهما، وتشكّل وعي تشاركي بين الطرفين كُّل بنشر تعاليم الإسلام وتوحيد الاهداف والسعي نحو تحقيق الوحدة القومية.

3-8- ابن خلدون/الثقافة (27ماي1332م-توفي 17 مارس 1406م)

اهتم الشاعر الشعبي عبد الحميد عباسية بالتاريخ وبالشخصيات التاريخية المميزة في قصيدته، وذلك ما دفعه إلى التعرّيج على المؤرخ "ابن خلدون" صاحب المقدمة الخالدة: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" (أنظر التعليق رقم: 2) ، وقد استحضره الشاعر في قصيدته (عباسية، 1996، صفحة 81):

بن خلدون خلا توارىخ تشتهر فيلسوف مشهور من الفائزين

يمثّل ابن خلدون رمزًا من الرموز الثقافية والفكرية في الحضارة العربية الإسلامية، حيث ترك بصمة عميقة في مختلف ميادين المعرفة، وتجسّد ذلك في رؤيته الفلسفية والفكرية التي ساهم من خلالها في تشريح مختلف الظواهر السياسية والاجتماعية والأنثروبولوجية للمناطق التي مر بها وأقام فيها، إلى جانب ذلك كانت له نظرة تأسيسية لنشأة العلوم والطريقة السليمة لتحصيلها، حيث كانت مقدمته مشكاة انطلقت منها مختلف الأفكار والتصورات، فبيّن خصوصيات الشعوب وتمايزها، ومدى قدرتها على التواصل وتبادل الخبرات، وقد انصبّ تركيزه على الإنسان وعلاقاته بالآخر، وعلى التأثير والتأثر ومدى مساهمة الشعوب في بناء الحضارة وإنتاج المعرفة.

فأصبحت بذلك شخصية بن خلدون تجسد رمزا للعبقريّة الفكرية ولل فكر الموسوعي وللرؤية الفلسفية العميقة، مما أكسبه مكانة متميزة في تاريخ الفكر الإنساني.

3-9- الأمير عبد القادر/السياسي المفكر (1223-1300هـ / 1808-1883م)

يُعرّف الأمير عبد القادر الجزائري بأنّه مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة وعاصمتها معسكر في الغرب الجزائري، كما يُعرف بأنّه قائد المقاومة الشعبية الأكثر بروزا وتأثيرا ضد الاستعمار الفرنسي،

وقد تميّز بالفروسية والشجاعة والفصاحة والتدين (إيتين، 1997، الصفحات 15-20)، وفيه قال الشاعر الشعبي عبد الحميد عباسية (عباسية، 1996، صفحة 82):

قامت الأبطال في ناحية معسكر بقيادة الأمير ابن محي الدين
الأمير الشجاع الحاج عبد القادر الممارك قادها بجيش الشجعانين

جسدت صورة الأمير عبد القادر في تاريخ الجزائر رمزا مفصليا للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسيين، ولنضال حقيقي مهد للانتفاضة ضد كل محاولات استعباد الشعوب وقهرها وحرمانها من حقها في الحرية والاستقلال. وبالرغم من بدائية وسائل المقاومة التي كان يقودها الأمير عبد القادر، إلا أنه استطاع أن يرعب أكبر الامبراطوريات الاستعمارية، فأصبح القائد الملهم للشعوب المستعمرة للنهوض ضد الاستعمار والتعبير عن حقها في الحرية، ولعل أهم عنصر ساعد في استمرارية المقاومة هو صوفيته ومرجعياته الدينية القوية وتشبعه بالفكر الاصلاحى، الأمر الذي جعل منه رمزا للقائد المسلم المثقف، فكما كان فارسا في مجال الدين والحرب، كان شاعرا فحلا، كتب في مختلف الأغراض الشعرية معتزا بعروبه وأصالته، إلى جانب ذلك فقد كان رمزا للإنسانية، وقد برز ذلك وبوضوح في تعامله مع المستضعفين ومع الأسرى الفرنسيين المحتجزين لديه.

تحولت شخصية القائد إلى رمز ملهم لجميع الأجيال العربية والإسلامية التي عاشت الاستعمار وتجسدت مرارة المعاناة والقهر، لتسلك مسلكه في المقاومة وتقتفي خطاه في سبيل تحقيق الحرية والاستقلال.

وقد استحضرت شخصيته في كثير من الأعمال الإبداعية وبخاصة الرواية، نظرا لما تحمله من أفكار وقيم ساهمت في تعميق الحس بالانتماء للإسلام وللعروبة وللتشبث بالهوية القومية التي تعد صمام أمان للشعوب، فمن الروايات التي وظفت شخصية الأمير عبى سبيل المثال "كتاب الأمير-مسالك أبواب الحديد-" و"كتاب الأمير -غريب الديار-" لواسيني الأعرج.

الشكل رقم (04): رمزية الأمير عبد القادر



المصدر: من إنجاز المؤلفين

10-3- عبد الحميد بن باديس المصلح (04 ديسمبر 1889-16 أبريل 1940م)

اهتم الشاعر الشعبي عبد الحميد عباسية برواد الحركة الاصلاحية في الجزائر وبرجال العلم والدين، وقد تطرق في هذا المجال إلى شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس في قوله (عباسية، 1996، صفحة 83):

علماء الاصلاح في الديانة تنشر الشيخ ابن باديس امام المصلحين

يعد عبد الحميد بن باديس أحد أبرز رموز الفكر الإصلاحي في الجزائر، لاسيما إبان المحنة الاستعمارية التي عصفت بالمجتمع الجزائري، وأدخلته في نفق من الجهل والظلم من خلال تدميرها لمختلف المراكز التي تنشر الوعي والعلم كالمساجد والمدارس والكتاتيب، هنا تطفن عبد الحميد بن باديس لضرورة التصدي لهذه الحملة الشرسة التي حاولت استئصال المجتمع الجزائري من جذوره، فبادر مع مجموعة من رواد الحركة الاصلاحية في الجزائر بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كجمعية نهضوية إصلاحية لانتشال المجتمع من الوضع البائس الذي وصل إليه، ساعين إلى التغيير وتحسين المجتمع من خلال "تأسيس النوادي، والمدارس الابتدائية، والكليات الإسلامية، والجمعيات، والمساجد، وإرسال البعثات الطلابية إلى الخارج، والقيام بأعمال الوعظ والإرشاد في كامل التراب الوطني..." (زكوب، وسوهيرين، 2015، صفحة 108)، وقد تضافرت جهودهم في مختلف ربوع الوطن لنشر الوعي والمعرفة كتهيئة مسابقة للفعل الثوري لاحقاً، ولعل شعار الجمعية كان شعاراً محفزاً لتعميق الحس بالانتماء الوطني والدفاع عن مقومات الهوية الوطنية كنقطة حمراء لا يمكن المساس بها.

والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يكن مُصلحاً فقط، ولكنه سعى إلى تجديد الفكر الإسلامي ومناقشة مختلف القضايا الدينية والدنيوية التي شغلت أذهان الشعب الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية، لا سيما من خلال استغلاله للصحف والمجلات التي كانت من أنسب الوسائل لتوعية مختلف طبقات المجتمع، ولما كانت اللغة هي عنوان الهوية كان حريصاً على تعميم استعمالها في التوعية وفي نشر الفكر تفادياً للانصهار وفي نفس الوقت الانسلاخ عن الدين والوطن واللغة. فهو -بشكل عام- يمثل رمزا بارزا للنهضة وللإصلاح والتجديد في الجزائر والعالم الإسلامي.

11-3- أحداث 08 ماي 1945م/ التوضيحية

تعرضت الجزائر لحملات استعمارية طويلة ومتعددة عبر التاريخ، ومن بينها الاستعمار الفرنسي الذي امتد لأكثر من قرن وربع قرن، وقد شهدت هذه الفترة مجازر لا مثيل لها عانى منها الشعب الجزائري كثيراً، ومن بين هذه المجازر أحداث 08 ماي 1945م، والتي راح ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد في يوم واحد، وقد خلدها الشاعر في قوله (عباسية، 1996، صفحة 83):

ثمانية ماي الاف ماتت من البشر اسطيف وخراطه وقالمه ضرورين

ترمز أحداث الثامن ماي إلى المجازر الوحشية التي ارتكبتها المستعمر الغاشم في حق الشعب الجزائري الذي خرج مطالباً فرنسا الوفاء بوعدها لمنح الجزائريين حقهم في الحرية الاستقلال، لكن السياسة الفرنسية المراوغة نقضت كعادتها الوعد الذي قطعته، وقابلت خروج الجزائريين السلمي

بحملة عسكرية شرسة خلّفت آلاف الضحايا، وبخاصة في مناطق: سطيف وخراتمة وقالمة، لتبقى هذه المجازر وصمة عار في تاريخ فرنسا، وليبقى هذا الحدث في الذاكرة الشعبية شاهداً تاريخياً على بشاعة الحقبة الاستعمارية.

وتبقى هذه المحطة من تاريخ الجزائر درساً عن أخلاق المستعمر، ستمكن الأجيال القادمة على فهم ومعرفة قيمة التضحيات التي قدّمها الشعب الجزائري في سبيل تحقيق الحرية والحفاظ على الذاكرة الوطنية من الاستغلال والتشويه والضياع، وإلهامهم لمواصلة النضال وفهم التاريخ بصورة صحيحة.

وفيما يلي شكل توضيحي لرمزية الثامن ماي:
الشكل رقم (05): رمزية الثامن ماي



المصدر: من إنجاز المؤلفين

3-12- (05) جويلية/الحرية

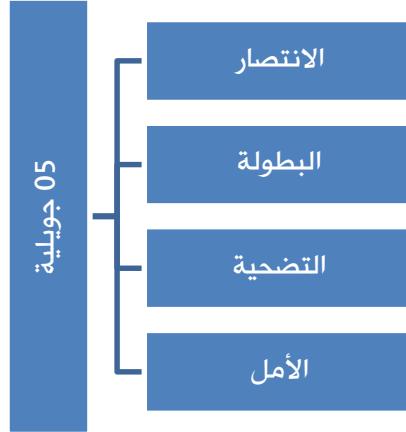
يعتبر الخامس جويلية من كل عام عيداً وطنياً للاحتفال بالنصر وبالاستقلال، يقول فيه الشاعر الشعبي عبد الحميد عباس (عباسة، 1996، صفحة 83):

خمس جويلية جاء لينا عيد النصر بعيد الاستقلال الشعب فرحانين

تتجلى رمزية 05 جويلية 1962م في كونه تاريخاً مفصلياً ومحطة هامة في نضال الشعب الجزائري طيلة قرن وربع القرن، حيث كلّ بالاستقلال والتخلص من شبح الاستعمار، كما كان لهذا اليوم التاريخي تأثير عميق في وجدان الشعب الجزائري كنقطة تحول نحو غد أفضل ومستقبل واعد لبناء جزائر جديدة تتلاءم مع طموحات الشعب الجزائري، وملهمة في الوقت نفسه للشعوب المستعمرة للسعي نحو استعادة حريتها المسلوبة، والتخلص من الاستعمار، فقد تعلمت هذه الشعوب أن باب الحرية باب لا يمكن طرده إلا بأيادٍ مخضبة بالدماء، لذا فقد بقي هذا التاريخ محفوراً في الذاكرة الجمعية الجزائرية كثمرة نضال طويل وكفاح مرير كلّ بنصر مؤزر مستحق.

وحسب الخطاطبة الآتية تجسيد لبعض من دلالات هذا اليوم الرمزي:

الشكل رقم (06): رمزية الخامس جويلية



المصدر: من إنجاز المؤلفين

خاتمة

في الأخير ومن خلال قراءتنا لتجليات الرمز في نماذج من الشعر الشعبي الثوري في الجزائري، نخالنا خلصنا عبر سطور وصفحات هذا البحث إلى تشكيل رؤية بسيطة والوصول إلى مجموعة من النتائج في هذا المجال نذكر منها:

- يُمكن للشعر الشعبي أن يكون أرضا خصبا تحمل داخلها قيم الذاكرة الشعبية.
- يمثل الرمز وسيلة من الوسائل الفنية التي يستخدمها الشاعر في التعبير عن عواطفه وأفكاره بطريقة غير مباشرة مما يساهم في إثراء الدلالات وفتح شهية القارئ للتفكير والتأويل.
- مثل الرمز أحسن وسيلة للتعبير عن أوجه النشاط الإنساني في الفكري والثقافة.
- ساهم الشعر الشعبي برموزه في التعبئة الثورية والتحفيز على النضال الوطني.
- جسّد الرمز التاريخي آمال الشعب وتطلعاته وتخليد بطولات الثوار، وبثّ الحماس في نفوسهم.
- كان لاستخدام رموز المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي الأثر الكبير في تذكير الشعب الجزائري بتاريخه النضالي، كاستحضار لشخصية الأمير عبد القادر وغيره من القادة.
- ساهم الرمز في تعميق الحس بالانتماء والتعبير عن الهوية الوطنية من خلال توظيف رموز لتاريخ الجزائر القديم، مثل: تاكفاريناس، يوغرطة وماسينيسا.
- توظيف شخصيات دينية أثبتت تميزها عبر التاريخ في الفتح الإسلامي لتكون ملهمة للقيام بالفعل الثوري، ولنا في شخصية طارق بن زياد وعقبة بن نافع خير مثال.
- اهتمام الشعر الشعبي برواد حركة الإصلاح، ودورهم الفعّال في نشر الوعي والمعرفة وغرس قيم الوطن والوطنية، كشخصية عبد الحميد بن باديس وغيره.
- احتواء الشعر الشعبي لمحطات هامة في تاريخ الجزائر (08 ماي 1945) و(05 جويلية 1962م) كمحطات مفصلية في تاريخ النضال، كما جاء حاثا الأجيال القادمة على النضال محملا بإهم مسؤولية الحفاظ على الوطن.

التعليقات

- 1- الشاعر الشعبي عباس عبد المجيد، الملقب بعبد الحميد، من مواليد سنة 1918م ببلدة بريكة ولاية الأوراس سابقاً، ابن محمد بن مسعود الملقب بشاعر الأعراش، كبر الشاعر في بلدته حتى بلغ أربع سنوات، لينتقل مع والده إلى بسكرة ثم إلى باتنة ليتلقى تعليمه الأول. وفي سنة 1928م انتقل إلى قسنطينة ليعمل كمصنف في مجلة الشهاب للعلامة عبد الحميد بن باديس، ثم إلى العاصمة حيث استأنف الدراسة في مدرسة الشبيبة، مع العمل في المطبعة العربية للشيخ أبي اليقظان، أين تولى والده إدارة جريدة "المرصاد والثبات"، وفي سنة 1932م تعلّم الشاعر آلة المعزف "البيانو"، وكانت تلك بداياته مع الأغاني الوطنية، وفي سنة 1932م ألقى قصيدة بالشعر الملحون بمهرجان المؤتمر الإسلامي نالت شهرةً كبيرةً على أيامها، فصح فيها مكائد الاستعمار، لينفى بعدها إلى المغرب من طرف حاكم تلمسان، ليعود بعدها إلى الجزائر حيث أسّس فرقة جولات عباسية للحفلات المتنوعة، وفي سنة 1939م انضمّ إلى فرقة باش تارزي محي الدين أين التقى بالفنانين الكبيرين محمد عبد الوهاب وعبد المطلب، ليسجن بعدها في باريس لنظمه قصيدة الثامن ماي، وفي سنة 1954م انضمّ إلى الجبهة، ونظم ما يربو على مئة قصيدة ثورية.... وعشية الاستقلال، كرّس نفسه للنشيد والأغاني الوطنية. حتى عام 1984. وقد أقام في الجزائر. توفي في مدينة الجزائر في 15 ماي 1998م.
- 2- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000م.

قائمة المصادر والمراجع

- *القرآن الكريم برواية ورش عن نافع. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، عام 1430هـ.
1. إتيين، برونو. (1997). الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة: ميشيل خوري. (ط.1). بيروت: دار عطية للنشر.
 2. أحمد، محمد فتوح. (1977). الرمز والرمزية في الشعر المعاصر. (د.ط.). مصر: دار المعارف.
 3. أدونيس، علي أحمد سعيد. (1994). الثابت والمتحوّل - بحث في الإبداع والاتباع عند العرب. (ط.7). بيروت: دار الساقى.
 4. باي زكوب، عبد العالي، وسوهيرين محمد صولحيين. (2015، يونيو). "الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس: حياته وجهوده التربوية"، مجلة الإسلام في آسيا، تصدر عن الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، مج 12 (ع1). (ص105-ص152).
 5. بوصلاح، نسيم. (2003). تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر. (ط.1). الجزائر: دار هومة.

6. ابن خلدون، عبد الرحمن. (2000). تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المُبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وَمَنْ عاصرَهُمْ من ذَوِي السُلطان الأكبر. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار. (د.ط.). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
7. دوة، بوزيد. (2022، مارس). "مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني (112-105 ق م)"، مجلة التمكين الاجتماعي، تصدر عن جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، مج4 (ع1). (ص50-ص61).
8. زايد، علي عشري. (2002). عن بناء القصيدة العربية الحديثة. (ط.4). القاهرة: مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير.
9. أبو زيد، أحمد. (1985، ديسمبر). "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي" كل الفنون هي مظهر ورمز في نفس الوقت"، أوسكار وايلد: "صورة دوريان جراي"، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج16(ع3). (ص4-ص6).
10. السد، نور الدين. (1986). القضية الجزائرية عند بعض شعراء الأدب. (د.ط.). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
11. سعد الله، أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830). (ط.1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
12. شويتام، أرزقي. (2022، جوان). "طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519-1830م)"، مجلة التاريخ المتوسطي، تصدر عن جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر، مج04 (ع1). (ص102-ص127).
13. عباسية، عبد الحميد. (1996). الدر المكنون في الشعر الملحون. (د.ط.). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر.
14. القاضي، محمد محمود. (1999). عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية. (د.ط.). القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
15. كامبس، قابريال. (د.ت.). في أصول بلاد البربر - ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق: العربي عقون. (د.ط.). الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
16. مسرحي، جمال. (2009). المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري - ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجاً -، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم (مخطوط)، جامعة قسنطينة. الجزائر.